الطفولة في الفلسفة المعاصرة ، اولفين توفلر انموذجاً

اعداد

أ.م.د. فرات امين مجيد

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي /جامعة ديالى

مركز ابحاث الطفولة والامومة

البريد الإلكتروني Email : dr.furat1968@gmail.com

الكلمات المفتاحية: توفلر، الطفولة ،الصراعات، الحروب،الموجة الثالثة.

كيفية اقتباس البحث

مجيد ، فرات امين، مفهوم الطفولة في الفلسفة المعاصرة ، اولفين توفلر انموذجاً، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Childhood in Contemporary Philosophy, Olvin Toffler as a Model

Prepared by
Assistant Professor Dr. Furat Amin Majeed
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Diyala /Childhood and Motherhood Research Center

Keywords : Toffler, childhood, conflicts, wars, third wave.

How To Cite This Article
Majeed, Furat Amin, Childhood in Contemporary Philosophy, Olvin Toffler as a Model, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2024,Volume:14,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :
This study attempted to shed light on one of the most prominent philosophers of contemporary American history, Alvin Toffler, in his theories, and we revealed the dangerous meanings and implications these theories contain for the lives of contemporary and future peoples.
1-There is an increasing sense of the rapidity of the stormy historical changes that the contemporary world is witnessing, and this is evident in the abundance of studies and continuous writings that attempt to describe the reality of the current historical scene.
2-Alvin Toffler is the voice expressing the desire and will of the new American liberalism, which recognizes its historical crisis, but sees in this crisis nothing but the harbingers of the birth of a new civilization.
3-Toffler tried to interpret history in a way that serves and justifies his hypothesis that he wishes to achieve, as he saw in all of human history only the flow of three basic waves of civilization, which are: the civilization of the agricultural wave, the civilization of the industrial

wave, and the civilization of the cognitive wave, which is the civilization of the third wave.

Toffler brings back the conflicts and wars raging in our contemporary world today, to the crisis of the birth of third wave civilization and the desperate resistance it encounters from the remnants of the first and second waves.

الخلاصة :

حاولت هذه الدراسة أن تسلط الضوء على واحد من ابرز فلاسفة التاريخ الأمريكي المعاصر " الفين توفلر" في نظرياته وكشفنا عن ما تنطوي عليه هذه النظريات من معاني ودلالات خطيرة على حياة الشعوب المعاصرة والمستقبلية.

١-ثمة إحساس متزايد بسرعة المتغيرات التاريخية العاصفة التي يشهدها العالم المعاصر، ويتجلى ذلك بكثرة الدراسات والكتابات المتواصلة التي تحاول توصيف حقيقة المشهد التاريخي الراهن.

٢-يعد الفين توفلر الصوت المعبر عن رغبة وارادة الليبرالية الأمريكية الجديدة التي تعترف بأزمتها التاريخية ولكنها لا ترى في هذه الأزمة إلا تباشير ميلاد حضارة جديدة.

٣-حاول توفلر تفسير التاريخ بما يخدم ويبرر فرضيته التي يرغب في تحقيقها، إذ لم يرى في التاريخ الإنساني كله إلا تدفق ثلاثة موجات حضارية أساسية، هي: حضارة الموجة الزراعية، وحضارة الموجة الصناعية، وحضارة الموجة المعرفية التي هي حضارة الموجة الثالثة.

٤-يعيد توفلر الصراعات والحروب المشتعلة في عالمنا المعاصر اليوم، إلى أزمة ميلاد حضارة الموجة الثالثة وما يعترضها من مقاومة يأسة من فلول الموجتين الأولى والثانية.

المقدمة :

لبناء اي مجتمع انساني. فلو لا وجودها لما استطاع الانسان التقدم بالحياة الاجتماعية ولما استطاع الاستمرار دون شك، وقد حاول الفيلسوف الامريكي " الفين توفلر " الوقف عند الاسرة في محاولة لوصف التغيرات التي طرأت عليها والتنبؤ بما ستصل اليها الاسرة في المستقبل.

يقف توفلر عند التغيرات الكبيرة التي طرأت على الاعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد والاخلاقيات، لا بل سبل العيش التي كانت متبعة لدى الشعوب، فيشير الى التقلبات والتطورات التي شهدتها الافكار الأنسانية، وبما انه عاش في بيئة متقدمة علمياً تمتلك الطاقات الكبيرة في المجال العلمي والتكنولوجي، فقد شهد على الانقلابات التي رافقت ذلك. فالمعروف عن توفلر تقسيمه التطور الحضاري، أو التقدم التاريخي الى موجات(الموجة الاولى التي شهدت وصول

الانسان الي اكتشاف الزراعة والمراعي وتدجين الحيوانات، والموجه الثانية الموجه الصناعية، وما افرزت من توفير حياة مريحة، وكذلك الموجه الثالثة التي افرزت التكنولوجيا والثورة التقنية) إنّ هذه التغييرات لم تكن سهلة في تقبله لدى الناس، فقد عاش المجتمع الغربي وسط عاصفة نارية من التغيير هذه العاصفة، بدلاً من أن تهدأ، تلوح وكأنها تجمع قواها لهبة أشد عنفواناً، وان موجات التغيير تكتسح المجتمعات المتقدمة صناعياً بعنف متفاقم وسرعة متزايدة، وهي تحمل في براثنها كل أنواع البيئات الغريبة المستحدثة من ابتداع وسائل لم تكن معروفة لدى الناس من المسائل الجنسية وغيرها من المشاكل التي أثرت في عقول الشباب.

وضمن هذه البيئة غير المألوفة في السابق بالنسبة للإنسان تجد أيضاً شخصيات شاذة أطفالاً في الثانية عشرة لا يبدون كأطفال، ورجال أثرياء يجدون متعتهم في انتحال صفة الفقر، ومبرمجو عقول الكترونية يتعاطون عقار الهلوسة، وهناك فوضويون هم تحت قمصانهم القطنية القذرة محافظون، ومحافظون هم تحت ياقاتهم العالية فوضويون حتى النخاع، هناك كهنة متزوجون، وقساوسة ملحدون ... الخ.

إن الكثير مما يبدو لنا الآن مستعصياً على الإدراك سيغدو كما يقول توفلر أقل غموضاً إذا ما نظرنا نظرة جديدة إلى معدل التغيير الذي جعل الواقع يبدو أحياناً كالخيال المجنون، فالتغيير المتسارع لا يقرع أبواب الصناعات والشعوب فحسب، ولكنه يتغلغل في أعماق حياتنا الشخصية، " فعندما تتغير الأشياء من حولك، فإن تغيراً موازياً يحدث في داخلك.

اهمية البحث :

تأتي اهمية البحث كونها تناولت شخصية امريكية من خلال التعمق بدراسة مؤلفات اولفين توفلر في بحث علمي وافي والوقوف على اهم الآراء الفلسفية التي طرحها حول الطفولة والتربية .

صعوبة البحث :

اما من حيث صعوبة البحث تتمثل في أنها تطلبت جهداً كبيراً للكشف عن الصلات والروابط بين موضوعاتها في نسق بحثي منضغط زيادة على ذلك عدم وجود دراسات اكاديمية سابقة يمكن الاعتماد عليها في بحثنا هذا .

اهداف البحث :

تسليط الضوء على اهم افكار اولفين توفلر حول الطفولة والتربية كما يهدف البحث الى سد الشاغر المعرفي عن شخصية اولفين توفلر وابراز افكاره الفلسفية والاجتماعية.

مشكلة البحث :

مشكلة الطفولة والتربية والاسرة في العصر التكنولوجي الحديث أيام اولفين توفلر.

منهجية البحث :

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي والتحليلي فمن خلال المنهج التأريخي سنسرد حياة اولفين توفلر وفلسفته وافكاره التربوية ، اما المنهج التحليلي فسيكون في عرض الافكار والتعديلات المهمة التي قام بها اولفين توفلر.

المبحث الاول

اولفين توفلر

حياته وأعماله:

ولد اولفين توفلر في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي في ولاية بنسلفانيا الأمريكية من أسرة عمالية بسيطة، وبعد أن أنهى تعليمه الأساسي والثانوي ذهب للاشتغال في أحد مصانع السيارات لمدة خمس سنوات كعامل مبتدى، ثم التحق بسلك التجنيد كما يقول: » وقد استفدت كما فعل كثير من المجندين السابقين من منحة أتاحت لي الذهاب إلى الجامعة«[١]

وفي جواب عن سؤال من هو اولفين توفلر ، يروي توفلر بلسانه أهم المحطات في حياته بقوله: " عندما كنت ما أزال في المدرسة كنت أريد أن اكتب، وكنت اهتم بالمشكلات الاجتماعية وبالتغيرات السياسية وحلمت بكتابة رواية عظيمة عن حياة العمال.

ومنذ أواخر الأربعينات يرتبط توفلر مع رفيقة عمره " هيدي توفلر " ليتقاسما تجربة الحياة العملية والفكرية، العمالية والسياسية، الثقافية والنظرية يقول: " جاءت معي هيدي التي كانت خطيبتي حينئذ وتقاسمنا هذه التجربة."

في أواخر الأربعينات يذهب توفلر إلى الجنوب للنضال من اجل قضية الحقوق المدنية ويشارك في المظاهرات الشعبية هناك، ويكتشف الماركسية التي سحرته براديكاليتها القوية وتعاليمها الثورية الجذرية.لكنه فيما بعد يقول: » تحت بزة الوقاد لم أكتشف لا " المتوحش الطيب " ولا "البروليتاري المجيد" لقد تعلمت في المصنع بقدر ما تعلمت في مدرجات الجامعة، وتأكدت بنفسي من حماقة وغطرسة مثقفي اليسار الذين يعطون لانفسهم مهمـــة " إيقاظ الوعي الطبقي" عند العمال «[٢]

ويروي توفلر، كيف تنقل بين عدد من المهن والأعمال الصناعية والميكانيكية من منظف عوادم السيارات إلى ميكانيكي للسيارات إلى لحَّام وكيف أنه كان يتعلم في تلك الأثناء اللغة الإنجليزية والكتابة الصحافية، إذ بدأ منذ الخمسينيات يكتب في الصحافة العمالية كتب مقالات لحساب مجلات مختلفة بأجر ثم عمل مراسلاً للصحافة في واشنطن منذ نهاية ١٩٥٠م، إذ غطى لمدة ثلاثة أعوام أخبار البيت الأبيض، لحساب صحيفة يومية في " بنسلفانيا" وكتب في مجلة

كريستيان ساينس مونيتور وفي الواشنطن ستار، وفي كثير من المجلات والصحف الخارجية، وفي عام ١٩٦١م أنجز دراسة حول النتائج البعيدة للناظمة آلية والأتمتة على صعيد المنظمات الإدارية للمشروعات، وهذا ما منحه الفرصة للطواف بإرجاء الولايات المتحدة الأمريكية ومقابلة الباحثين الذين كانوا قد أرسوا أسس الإنجازات الحالية في مجال الذكاء الاصطناعي«٨ وفي عام ١٩٦٤ ينشر توفلر أول كتاب له بعنوان " مستهلكو الثقافة" وهو تحليل للفن في أمريكا من وجهة نظر اقتصادية ونقد للنخبوية الثقافية. ومنذ ذلك الحين توالت الإصدارات الفكرية توفلر ، وذاع صيته في معظم الدوائر الثقافية والأكاديمية في الولايات المتحدة الأمريكية سيما بعد نشر كتابه المثير " صدمة المستقبل" عام ١٩٧٠م.

ثم عمل في المجلة السنوية للأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية، وشغل كرسي علم الاجتماع المستقبلي في " المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي" ثم أصبح أستاذاً في جامعة (كورنويل)[٣].

تجدر الإشارة إلى أن كتاب " صدمة المستقبل" يعد منعطفاً حاسماً في حياة توفلر ، إذ يعترف بأنه هو الذي غير مجرى حياته، بقول " لقد غيرها بأشكال عديدة فالوابل الرائع من ردود الفعل التي أثارها الكتاب قد كان له أثرُ حاسم على حياته... كان ثمة شلال حقيقي من الاتصال من زوايا البلاد الأربع بل ومن زوايا العالم الأربع فقد اتصل بي أناس في الساعة الثانية صباحاً ليخبروني بأنهم انتهوا لتوهم من قراءته وانهم يحبون أن يروني..."وبغض النظر عن حقيقة ما يقوله توفلر عن اثر كتابه وما يحتمل من مبالغات، فقد كان لهذا الكتاب اثر الصدمة القوية في أذهان ونفوس معظم الذين قراءوه. إذ حقق نجاحاً باهراً في أمريكا وخارجها وكان أكثر الكتب رواجاً في فرنسا وألمانيا الغربية واليابان وفي عشرات من البلدان الأخرى، وبسبب هذا الكتاب فتحت الأبواب لتوفلر وزوجته لمقابلة شخصيات عديدة في أمم كثيرة، رؤساء دول وحملة جوائز نوبل وعلماء ومن كل الأنواع، إذ التقى بالرئيس الروماني " شاوشيسكو" والرئيس الكندي "ترودو" واندیرا غاندي" رئيس وزراء الهند ورئيس وزراء اليابان سوزوكي والقيادة الصينية والروسية الاشتراكية آنذاك)[٤].

وقد تم تمثيل كتاب " صدمة المستقبل" في السينما وعقدت عشرات الندوات والمؤتمرات لمناقشته في بلدان كثيرة، ثم اصدر بعد ذلك الكتب الآتية: كتاب (خرائط المستقبل) ١٩٧٥م، وكتاب (الموجة الثالثة) ١٩٨٠م، وكتاب (تحول السلطة) (المعرفة والثروة والعنف) في بداية القرن الواحد والعشرين) ١٩٨٥م، وكتاب " بناء حضارة جديدة" ١٩٩٤م، وغير ذلك من الكتب والمقالات والدراسات الأخرى. إن غرضنا من تلك اللمحة السريعة عن حياة توفلر التنويه إلى

الأهمية التي تنطوي عليها طروحاته فمن الواضح انه مؤلف واسع الاطلاع كبير الشهرة وقد ترجمت كتبه إلى معظم لغات العالم وأحدثت باستمرار ضجة كبيرة، ليس هذا فحسب- بل تكمن أهميته فيما يثيره من قضايا خطيرة على صعيد الفكر التاريخي والفلسفي المعاصر، فهو خلافاً للكثيرين من الكتاب الأمريكيين أمثال فرانسيس فوكوياما، وهنتجتون ينتهج وجهة نظر جديدة ويعتمد أدوات منهجية فريدة في دراسته للتاريخ والحضارة، محاولاً إعادة بناء المعرفة التاريخية في نسق نظري ومنهجي مختلفا ومتميز وغير مألوف بالنسبة لنا. وإذا كنا غير مؤهلين للمشاركة في إنتاج الثقافة العالمية فمن أضعف الإيمان أن نطلع على ما ينتجه الآخرون ونتعرَّفه ونتبين موقعنا منه.

المبحث الثاني

الطفل قيمة في ذاته في المنظور الفلسفي

إن النظر إلى منزلة الطفل خارج سياق التاريخ الوسيط الأوروبي وتحديدًا ضمن سياق الثقافة العربية الإسلامية يمكن أن يضع أمامنا مظاهر عديدة لاعتراف اجتماعي بالطفل عززه حضور فلسفي وعلمي ملاحَظ لفكرة الطفولة. ولعل من أهم مظاهر هذا الاعتراف الاجتماعي، الذي لا يخلو من خلفية دينية واضحة، الممارسات والاحتفاليات المصاحبة لمولد الطفل (التسمية، العقيقة، التحنيك، الختان، إلخ.) والرفض المطلق لقتل الطفل واعتبار وفاته حدثًا مأساويًا واعتبار الطفل المتوفى شفيعًا لوالديه لدخول الجنة، وربط الاعتراف الاجتماعي بالشخص «برحمة» هذا الشخص للطفل (ليس منا من لم يرحم صغيرنا...)، ومركزية الطفل الصالح في التمثل الاجتماعي للسعادة إلخ. بل إن اللغة نفسها تشير إلى لفظ الطفل بعدد لافت من التسميات [٥]قد يدل على حظوة ما في المجتمع والثقافة. واستتباعًا لهذا الاعتراف الاجتماعي، ظهر الطفل في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي ضمن بعض الرسائل والمصنفات الفلسفية والطبية المخصصة للطفولة [٦]أو ضمن مصنفات تعنى بالأخلاق [٧]أو بالاجتماع البشري [٨]أو غيرها. هل يُعد ذلك دليلًا على اعتراف فلسفي بالطفل ضمن الفلسفة العربية الإسلامية تجاوز لحظة الإنكار السابقة؟

صحيح أن كل اهتمام بالطفل لا يمكن أن يتخلى عن التفكير فيما سيكون، أو ينبغي أن يكون عليه، هذا الطفل في المستقبل. وهذا ما يفسر الترابط الوثيق خلال كامل تاريخ الفلسفة بين مسألة الطفولة ومسألة التربية. إلا أن الاعتراف بالطفولة يمكن أن يُفهم على معنى النظر إلى الطفل في خصوصيته، أي من حيث هو كائن حامل لبنية نفسية وذهنية خاصة، ومن حيث هو مسار انفتاح على العالم الخارجي يتحقق بمقتضى ما يبنيه الطفل نفسه من علاقات مع المجتمع

ومع الأشياء. ومن هذا المنظور، يقتضي الاعتراف بالطفولة، من الناحية الشكلية، عدم الاكتفاء بتمثلها على هامش قضايا الميتافيزيقا أو السياسة، ومن الناحية المعيارية تحريرها مما يمكن أن نسميه مركزية الكهولة (adultocentrisme) أو كذلك «الاستحواذ الكهولي على الطفولة [٩]ومن ثمة الإقرار بأن الطفل يشكل بحد ذاته قيمة. وفي هذا المعنى يمكننا دون شك رصد بوادر اعتراف فلسفي–علمي بالطفولة برز خاصة من خلال حرص الفلاسفة والعلماء العرب على النظر إليها باعتبارها مرحلة خاصة ومختلفة من مراحل الحياة وعلى تفصيل بعضهم فيما يُحمل على الوالدين والمجتمع من واجبات تجاه الأطفال وهو ما يجعل التمثل العربي–الإسلامي، الاجتماعي والفلسفي على حد سواء، للطفولة مختلفًا كل الاختلاف عن تمثلها لدى المجتمعات الأوروبية الوسيطة[١٠]

يمكن أن تعتبر بوادر الاعتراف هذه أيضًا بداية لمراكمة متدرجة للمعارف الإنسانية بشأن الطفولة بلوغًا إلى العصر الحديث الأوروبي، حيث يقوم الكم الهائل من المؤلفات الخاصة بمسألة التربية خلال القرن الثامن عشر شاهدًا على القيمة التي بات يحظى بها الطفل .[١١]وفي هذا السياق بادر لوك منذ سنة ١٦٩٣ بوضع كتاب يعنى حصريًا بالتربية [١٢]، تلاه في ذلك جون جاك روسو بنشره كتابه المرجعي» **إيميل** «سنة ١٧٦٢، وظهرت بعد ذلك مؤلفات ودروس كانط وهيغل وبيستالوزي وغيرهم، مع سعي حثيث لتصبح البيداغوجيا علمًا.

لقد ساهمت عوامل عديدة في هذا التحول. فعلى مستوى معرفي وفكري يمثل القرن الثامن عشر قرن التنوير في أوروبا. وقد كان انتشار التنوير، الذي سعى إلى القطيعة مع الخرافة والرؤى الميتافيزيقية للعالم، يتطلب واسطة. و أدرك التنويريون أن الواسطة الأهم إنما هي التربية من حيث هي آلية قادرة على تكوين جيل جديد حامل للأفكار الجديدة. ولعل هذا ما دفع كانط إلى الإقرار في تأملاته في التربية بأن «الأنوار تتوقف على التربية كما أن التربية تتوقف بدورها على الأنوار .[١٣]وعلى مستوى فلسفي–سياسي، كان لاكتشاف الذات ومن ثمة الحرية في بعدها الذاتي تأثيرًا كبيرًا في بلورة فكر سياسي قائم على أولوية حقوق الإنسان وما تستدعيه من استقلالية للذات ومن رفض لكل أشكال التسلط. وقد كانت المطالبة بهذه الحقوق جوهر التحولات والثورات السياسية في أوروبا الحديثة. وما كان للتربية أن تكون بمعزل عن هذه الثورة السياسية والقانونية. فتراجعت تبعًا لذلك الأنماط القديمة للتربية وخاصة منها تلك الخاضعة لمؤسسات للتعليم الديني في مقابل انتشار المدرسة الحديثة والقيم الجديدة التي تبشر بها. ولعل أحد أهم القواسم المشتركة لما يمكن اليوم أن نسميه فلسفات التربية لعصر التنوير هو تأكيدها على قيمة الحرية. فإذا كانت التمثلات القديمة للتربية لدى الفلاسفة اليونانيين والمسلمين تدور حول قيمة

الفضيلة، حيث يُنتظر من الفرد أن يعمل من أجل الخير الجماعي، فإن مطلب الحرية بات هو غاية التربية الإنسانية عند التنويريين حيث يعود لكل فرد أن يبحث عن سعادته الخاصة.

في هذا الإطار، يعترف روسو في فاتحة كتابه **إيميل أو في التربية** بأن مؤلَّفه «أضأل من جلال الموضوع الذي يتصدى له». ولكنه لا يتردد في نقد التربية السائدة في عصره. ويعتبرها فاسدة ولا تنبي على معرفة بالطفولة». فلقد كان الكتاب يهتمون أساسًا «بما ينبغي للرجل أن يعرفه من غير اعتبار لما يستطيع الطفل أن يتعلم. ذلك أنهم ينشدون الرجل دائمًا في الطفل من غير أن يراعوا ماذا يكون الطفل فعلًا قبل أن يغدو رجلًا .[١٤]إن هذا النمط من التربية يقوم على محو شخصية الطفل وإلغائها وعلى ضرب من المفاضلة يستأثر فيه الكهل بميزة الإنسانية العاقلة والفاضلة. لكن هل يمكن أن يمثل الرجل–الكهل، من حيث هو فاعل اجتماعي، الصورة الأقرب لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان؟ إن الإجابة عن هذا السؤال هي التي تحدد منزلة الطفل عند فيلسوف العقد الاجتماعي وتستدعي العودة إلى فرضية الحالة الطبيعية لديه.

إن الطبيعة الإنسانية في نظر روسو هي طبيعة خيرة. «فكل شيء يخرج من بين يدي الخالق صالحًا» وإنما إنسان المجتمع هو من يفسد هذه الطبيعة ويشوه صنع الخالق .[١٥] فالكمال، أي الصورة المثلى للإنسان، هو إذن سمة الإنسان لحظة الخلق لا في أعقاب مسار التربية. إن الفطرة التي يولد عليها الطفل تحتوي بعدُ معنى الخير وما على التربية إلا المحافظة عليه. لكن هذا الخير يسقط في النسيان أو يكاد بتأثير من علاقات اجتماعية يحل فيها الحب الخالص محل حب الذات والبحث عن المصلحة محل البحث عن الخير. لقد تحول الثقل الأخلاقي لمعنى الإنسانية مع روسو من الكهل العاقل والمسؤول (إنسان الحضارة) إلى الطفل المدفوع بالفطرة (إنسان الطبيعة). فإن كان للتربية من غاية فهي قطعًا ليست التعجل ببلوغ الرشد بل المحافظة على الطفولة أطول فترة ممكنة. فكانت فرضية التربية السالبة عند روسو تحريرًا للطفل عبر تقييد الاستحواذ الكهولي عليه بدعوى تربيته وتعليمه.

ولقد أعاد كانط في دروسه في التربية استدعاء قيمة الحرية مبررًا الحاجة إلى التربية من منطلقات أنثربولوجية. فإذا كانت الحيوانات محكومة بحتمية أن تكون ما هي عليه بمقتضى غريزتها، فتغنيها هذه الغريزة عن التربية فإن الإنسان محكوم بوعيه وبمصيره، بما يجعله قادرًا على الاختيار الحر. فهو يحتاج للتربية والتعلم حتى يحسن الاختيار. ولا يمكن أن تتعايش حرية الذات مع حرية ذات أخرى دون تنظيم يضبط حدود كل واحدة. ومن هنا فإن الحرية تحتاج إلى الانضباط. إن الانضباط هو المدخل الضروري لحالة المدنية بماهي حالة خضوع لقوانين الإنسانية [١٦]، وشرط ضروري للعيش المشترك وللتنوير ببعديه الفكري والأخلاقي. وعلى أساس

جدلية الحرية–الانضباط هذه ينشأ الطفل بوصفه مواطنًا. إن الاعتراف الفلسفي بالطفل يبدو مبرَّرًا إذن من منطلق الحاجة إلى تحويل الحرية إلى ثقافة، أي جعلها مقوِّما من مقومات السلوك الفردي وقيمة جماعية مشتركة ترقى إلى مستوى البداهة.

غير أن نيتشه، الناقد للحداثة ولعقلانية التنوير، سيعطي للطفولة دلالة تذهب إلى ما وراء قيمة الحرية: إلى ما يجعل الإنسان الأرقي ممكنًا. فمجاز تحولات العقل الثلاثة تطيح بالدعوة الديكارتية للتحرر من الطفولة. إذ العقل من منظور نيتشه يبدأ جملًا في قابليته للخضوع وفي قدرته على التحمل، ثم ينقلب أسدًا في قوته وفي رغبته ابتداع قيم جديدة. وفي الأخير يستحيل العقل طفلًا. لم «طفلًا»؟ و«ما الذي يقدر عليه الطفل مما لا يقدر عليه حتى الأسد؟»، ما هذا الذي يتجاوز الحرية؟ يجيب نيتشه أن الأسد لا يستطيع ابتداع قيم جديدة. هو يستعد لها فحسب بمقتضى تحرره. الطفل هو من يتولى ابتداع القيم. «براءة هو الطفل ونسيان. بدء جديد، لعب، دولاب يدفع نفسه بنفسه، حركة أولى، نعم مقدسة .[١٧]إن ما يقرِّب الطفل من صورة الإنسان الأرقى هو تحديدًا خلوه من الضغينة، هو اللعب الذي يمنحه القدرة على خلق عالمه الخاصحيث يكون، بإرادته، سيدًا، وحيث يُقبِل على الحياة ويظفر بالمعنى. الطفل النيتشوي ليس قوة نفي، بل إرادة إثبات، بواسطة اللعب، لعالم خاص يكون هو سيده.

ثمة إذن منذ بدايات الحداثة مع لوك وإقراره بضرورة التعامل مع الطفل باعتباره كائنًا عاقلًا اعتراف متزايد بأهمية الطفولة لا فقط كمرحلة مؤقتة تنتهي مع الرشد ولكن باعتبارها هوية ذات خصوصية تملي علينا أن نتعامل مع الطفل على ما هو عليه، قيمةً في ذاته. دون شك، لا يمكن أن نعتبر أن عودة الطفل إلى الفلسفة تعني نهاية أنماط التربية التسلطية، أو انتهاك حقوق الطفولة، ولكن في المقابل من المؤكد أنها كانت لحظة ضرورية من أجل ثورة بيداغوجية حديثة يعاد فيها النظر إلى منزلة الطفل في وضعيات التعلم وأساليبه.

آراء توفلر التربوية

لم تحظ أعمال توفلر المستقبلية بالاهتمام التربوي الذي يوازيها من حيث الأهمية، كما أنها لم تحظ بقراءة تربوية نشطة، إذ غلبت عليه شهرته في ميادين الاقتصاد والسياسية والمال وعلم المستقبليات. وقد شُغف الناسُ بما كتبه في مجال التحولات الاجتماعية، ونُظر إليه بوصفه واحدا من كبار علما الاجتماع في العصر الحديث. ومع أن توفلر خصص بعض الكتب لتناول مسألة التربية وقضايا مثل " المدرسة في المدينة" و"التعليم من أجل الغد" ولكن هذين الكتابين لم يحظيا بالشهرة المطلوبة التي أحدثها كتابه " صدمة المستقبل" أو كتابه " الموجة الثالثة "، وقد يعود

ذلك إلى الصدى الكبير الذي أحدثه هذا الكتابان في النخب الفكرية والثقافية العالمية. ولا بد لنا في السياق من القول بأن التربية كانت حاضرة بقوة في مختلف أعمال توفلر وزوجته هايدي.

وقد عمل توفلر بعبقريته المعهودة على اعتماد الممنهج "الماكروسكوبي" في تناوله لمظاهر التغيير الاجتماعي، هذا يعني أنه كان يتناول مختلف مظاهر التغير ضمن نسيج العلاقات المجتمعية المفصلية المتكاملة. ونريد القول عبر ذلك المسألة التربوية كانت حاضرة في صميم أعماله ومبادراته. ويمكن القول بعبارة أخرى: إن أفكاره التربوية تتغلل في مختلف جوانب أعماله الفذة بدءا من كتابه الأول "مستهلكو الثقافة (The Culture Consumers) " حتى كتابه الأخير " ثورة الوفرة (**Revolutionary Wealth**) في عام ٢٠٠٦." [١٨]

وتدور أعمال توفلر وهايدي حول المستقبل والتغير الاجتماعي وكلاهما وثيقا الصلة بالتربية والتعليم. فالتربية والتعليم يشكلان النوابض الحقيقية للمستقبل والتغيّر. ولا يمكن الفصل بين التربية من جهة وبين التغير والمستقبل من جهة أخرى. ومن هذا المنطلق ترتب على توفر وهايدي أن تكون التربية في صميم الأعمال الكبرى التي قدماها للفكر الإنساني. ومن اجل تفحص الحضور الكبير للتربية في أعمال توفلر يمكننا أن نستعرض عناوين كتبه في سياق زمني وأن نقرأ في عناوينها بعضا من الإشارات والتلميحات التربوية المهمة.

ومما لا شك فيه أن عبقرية توفلر التربوية تتجلى في سياق متدافع في مختلف أعماله. ونعتقد بأن تقديم دراسة وافية لهذه ستكون على درجة كبيرة من الأهمية في مجال التربية وذلك لأن جميع أفكاره التربوية الإبداعية جاءت في نسق العلاقة بين التربية والتغير الاجتماعي والمستقبل والتحديات المصيرية للثورات المعرفية والتكنولوجية المتواترة في سياق المستقبل القريب والبعيد.

ويمكن القول أن دراسة المنظومة الفكرية لتوفلر كاملة وبشكل منهجي تحتاج إلى جهد علمي كبير يتجاوز حدود هذه المقالة التي تركز على منظومة الأفكار التربوية التي قدمها توفلر في كتابيه صدمة المستقبل والموجة الثالثة.

نظرية توفلر التربوية:

تتمثل نظرية توفلر التربوية في أنساق من الرؤى والتصورات التي تأصلت في كتاباته وأعماله الفكرية على مدى نصف قرن من الزمن. واستطاع توفلر عير أعماله المختلفة أن يشيّد نظريته التربوي التي القائمة على موازين التكامل والتفاعل بين الواقع الجامد من جهة والمستقبل الثوري من جهة أخرى. ومن الطبيعي القول بأن نظرية التربوية فريدة من نوعها في تاريخ الفكر التربوي، بما تميزت بها من أصالة وعراقة، تتمثل في قدرة توفلر العبقرية على تقديم الفكر التربوي في نسيج مجتمعي سياسي اقتصادي تكنولوجي بالغ التعقيد ضمن حركة التغير الاجتماعي وفيض

الانفجارات العلمية والتكنولوجية. وفيما يلي سنقدم أهم الأفكار التربوي التي طرحها بعبقريته المعهودة في سياق اجتماعي وتاريخي.

التربية وقانون التغير:

قد يكون التغير هو القانون الذي يحكم عقلية توفلر ويشكل المنصة التي ينطلق منها في عرض تصوراته ومعالجة فرضياته المستقبلية. وهو يدلل في كل خطوة على التسارع الهائل في عملية التغير الاجتماعي والتكنولوجي ويصف لنا في كثير من أعماله هذا العصف الهائل في عملية التغير وديناميكياته الشمولية. فالتغير التكنولوجي الذي يستعرضه يؤدي إلى تغير المنظومات الفكرية والتربوية الثقافية في المجتمع. وهنا يكمن دور التربية التي يترتب عليها أن تجاري هذا التغير وتحتويه.

يقول آلفين توفلر مستعرضا إشكالية التغير العاصف بأنه " لم يعد يكفي الفرد أن نفهم الماضي، وحتى لم يعد كافيا له أن يفهم الحاضر، لأن بيئة الحاضر سرعان ما ستتلاشى. ولذا يتوجب على الفرد أن يتعلم كيف يحتسب اتجاه معدل التغيير ويتوقعه. إنه، بحسب التعبير الفني، يجب أن يكرر من وضع الفرض الاحتمالية البعيدة المدى حول المستقبل. وهذا ما يجب على المعلم أن يفعله باستمرار وهذه المهمة برأينا تشكل المنطلق الحيوي للتربية الحديثة في صيرورة زمنية يغيب فيها الماضي ويتلاشى فيها الحاضر كوقود للمستقبل[١٩]

هذه الصورة التي يقدمها توفلر لمعدلات التغير تذكرنا بقول الفيلسوف الإغريقي هيرقليطس صاحب نظرية التغير والصيرورة الذي يقول " لا تستطيع أن تستحم في ماء النهر الواحد مرتين لأن مياها جديدة تجري من حولك أبدا " ويبني هيرقليطس على ذلك أن قانون التغير يشمل عناصر الوجود كله باستثناء واحد هو قانون التغير نفسه الذي لا يتغير والذي يشكل قانونا أزليا في الوجود.

يستعرض توفلر علاقة التغير بالزمن، ويرى بأن الزمن وحدة قياسية نعتمدها في عملية قياس التغير، ويميز ما بين التغير الاجتماعي والتغير البيولوجي فيقول " إن التطور الثقافي والاجتماعي فائق السرعة إذا ما قورن بالتطور البيولوجي للأنواع " وغني عن البيان بأن هذا التفاوت يطرح إشكاليات كبيرة في طبيعة الحياة الاجتماعية الثقافية. وكانه يريد القول إن التطور الثقافي يحمل البنية البيولوجية للإنسان تحميلا زائدا وثقيلا وهذا يعني أن هذا التغير الثقافي المتسارع يؤدي إلى تصدع البنية التكوينية الذهنية والبيولوجية للإنسان. [٢٠]

وفي مكان آخر يقارن بين وتائر التغير ما بين الماضي والحاضر مستندا إلى مقولة جوليان هكسلي ويرى بأن إيقاع التغير الحالي " أسرع بمئة ألف مرة من التطور في المراحل الأولى من

تطور البشرية "، وينتهي إلى القول بأن معدل التغير قد ارتفع " لدرجة أنه لم يعد في استطاعة الخيال أن يلاحقه " وبعد أن يقدم توفلر صورة مروعة لإيقاعات التغير الفائق يكرس كثيرا من كتابه في صدمة المستقبل في استكشاف آثار هذا التغير في بنية الإنسان وتكويناته الذهنية، وضمن عملية البحث عن الأثر يقول: " التسارع في خارجنا يترجم إلى تسارع في داخلنا " وفي هذا القول تكمن رؤيته التربوية حول الكيفيات التي يؤثر فيها التغير في عقل الإنسان ونظرته إلى الكون، وحول الكيفيات التي تواجه فيها التربية هذا التغير في دوراته المتسارعة. (٢١)

تشكل رؤية توفلر في التغير السريع لحاضر يتلاشى وقديم يموت المنطق الأساسي الذي ترتكز إليه نظريته التربوية. ونحن اليوم نعيش هذه الحقيقة ونراها ونلمسها ونختبرها يوميا. فالتعليم اليوم لا يستطيع أن يجاري التحولات الهائلة في مجال الحياة الاجتماعية وهذا الأمر يشكل أحد أكبر التحديات التي تواجه الأنظمة التعليمية في العالم. ويدأب اليوم المربون والمفكرون على بناء مناهج تربوية جديدة تقوم على درجة عالية من المرونة والقدرة على الاحتواء والتكيف في عالم سريع التغير. فعلى سبيل المثال تبين التوقعات أن ٧٠% من التلامذة في المدارس يعدون لوظائف لن تكون موجودة بعد تخرجهم من الجامعة. وباختصار فإن التغير يشكل في نظرية توفلر قانونا كليا يشمل التربية والإنسان في علاقة التربية بالإنسان والمجتمع والتغير نفسه. وبعبارة أخرى يبحث توفلر في التغير الذي يحدثه التغير الاجتماعي في التربية، والتغير الذي تحدثه التربية في الإنسان وعقله ضمن جدلية تاريخية مستمرة ومتواترة في ومضات تغير دائرية تاريخية تنهض وتشتد من جديد في كل لحظة زمنية. وبالنتيجة يطلق توفلر خياله الخصب المستند إلى إحداثيات الواقع في حساب تأثير معدلات التغير في الإنسان وأنساقه التربوية.

التربية للمستقبل:

يشكل المستقبل بآفاقه اللامتناهية جوهرة النظرية التوفلرية في نظرته إلى الوجود الإنساني. فالعالم يتجه بقوة جبارة نحو المستقبل، وهو مستقبل مهيب غريب محمّل بكل أنواع المفاجآت والصور التي تفوق توقعات العقل البشري. فالتربية كما يراها توفلر إعداد للمستقبل، وهي معنية بإعداد الأجيال للعيش بحرية وكرامة وذكاء في عالم يحكمه الذماء الاصطناعي والثورة التكنولوجية العارمة.

وفي المستقبل الذي يراه توفلر بعين بصيرة وخيال نزق جامح يحاول أن يقدم لنا تصورا للتربية ينطلق من الواقع الراهن التي هي عليه إلى ما ستكون عليه أو إلى ما يجب أن تكون عليه في المستقبل. وقبل أن يبدأ توفلر بوصف ما يجب أن تكون عليه التربية في المستقبل يصف لنا التربية التقليدية السائدة في المجتمعات التقليدية وصفا بارعا بوصفها عملية إنتاج وإعادة إنتاج

قيم الماضي ومعاييره، إنها تربية ماضوية تجترّ الماضي ثم تعيد إنتاجه في حلقات ودورات مغلقة. يقول توفلر واصفا الواقع التربوي في المجتمعات التقليدية: "في المجتمعات الجامدة يزحف الماضي على الحاضر، ويعيد نفسه في المستقبل، وفي مثل هذا المجتمع تكون الطريقة المثلى لإعداد الطفل هي تزويده بمهارات الماضي–لأنها نفسها المهارات التي سيحتاج إليها في المستقبل" ولأنه مع القديم تكون الحكمة: كما يقول الإنجيل [٢٢].

وهكذا، يسلم الأب إلى ولده كل أنواع التكتيكات الأبوية التي خبرها وعرفها وتشكل على أساسها، كما ينقل إليه مجموعة من القيم التقليدية الصارمة التي تناقلها الآباء عن الأجداد. "وكانت المعرفة تنتقل، لا بواسطة أخصائيين مركزيين في المدارس، ولكن من خلال الأسرة، والمؤسسات الدينية، وكان المتعلمون والمعلمون جميعا مفرقين على طول المجتمع وعرضه، وكان منهج التعليم في الماضي هو الماضي ذاته" وهنا نجد أن توفلر غالبا ما يؤسس رؤيته على بعض النظريات التربوية ولا سيما برغماتية ديوي إذ يقول " لقد كافح ديوي ضد صبغ التعليم بصيغة الماضي محولا شد اتجاه التعليم نحو الحاضر، معلنا" أن الأساليب البالية للنظم التعليمية التي تجعل من الماضي غاية في حد ذاته يجب أن تتعرف الماضي كوسيلة فقط لفهم الحاضر" [٢٣].

التربية في عصر الآلة :

ثم جاء عصر الآلة "وحطم هذه الصورة التربوية واجتثها من الجذور، هذا، لأن التصنيع كان في حاجة إلى طراز آخر من الرجال، لقد تطلب مهارات لا تستطيع الأسرة والكنيسة وحدهما أن تقدماها، كما أحدث هزة في القيم، وفوق كل هذا تطلب من الإنسان أن يكوّن إحساسا جديدا بالزمن ."وأبدع المجتمع الصناعي المؤسسات التعليمية لإنتاج نمط جديد من البالغين الذين يمكن التعويل عليهم في دورة الاقتصاد وحركة التصنيع" .**وكانت المشكلة هي كيف يتم إعداد الأطفال إعداد مسبقا وبطريقة فارقة للتكيف مع عالم جديد، عالم من العمل التكراري داخل أربعة جدران، والدخان، والضجيج والآلات، والعيش في ظروف الزحام، والانضباط الجماعي، عالم لا تنتظم فيه دورة الشمس والقمر، وإنما صفارة المصنع وساعته**[٢٤]

ضمن هذا السياق يوضح توفلر لأنه قد ترتب على المجتمع الصناعي أن يجد طريقة ومنهجا تربويا جديدا لتأهيل الفرد للحياة في مجتمع صناعي. ومن أجل ذلك وجد أنه لا بد من إيجاد نظام تعليمي جديد مبتكر يحاكي في بنائه العالم الصناعي الجديد، وهو النظام التعليمي الذي ما زلنا نختبره حتى اليوم في أنظمتنا التربوية. وهو ما زال حتى الآن يحتفظ ببعض عناصر مجتمع ما قبل التصنيع. ويمكن القول في هذا السياق أن النظام التربوي الجديد في المجتمع الصناعي استطاع أن يمنهج التعليم على غرار الحركة الصناعية التجارية وعلى منوال قوانينها. فالمدرسة

"تقوم بتجميع الطلاب في كتل (مواد خام) لتعالجهم بواسطة المدرسين (عمال)، في مدرسة تحتل موقعا مركزيا (المصنع)، وكانت المراتب الإدارية لعملية التعليم ككل تتبع في نموها نموذج البيروقراطية الصناعية، وكان التلاميذ يسيرون من مكان لآخر في صفوف منظمة، ثم يجلسون حيث قرر لهم أن يجلسوا، وكانت الأجراس تقرع معلنة تغيير الوقت . [٢٥]"وهذا كله يعني أن المدرسة تشكل نموذجا تربويا رأسماليا يلبي حاجات المجتمع الصناعي ويرسخ معالم قوته. وباختصار لا تعدو المدرسة أن تكون أكثر من تنظيم رأسمالي صناعي يعمل على استلاب الوعي، وتشكيل نمط عبودي اغترابي يتميز بقدرته على اختراق الوعي وهندسة السلوك وتنميط التفكير في خدمة المجتمع الرأسمالي.

وعلى هذا النحو الذي يصف فيه توفلر المؤسسة المدرسية أصبحت الحياة الداخلية للمدرسة بمثابة مرآة توقعية. وقد أسست رؤية توفلر ووصفه للمؤسسة المدرسية بوصفها نموذجا صناعيا لكل أشكال النقد الموجه إلى التعليم اليوم ولاسيما حول النظام المدرسي الصارم، والافتقار إلى الفردية، والنظم الجامدة للجلوس، والتصنيف، والتقويم، والتقدير، والدور التحكمي للمدرس، كل هذا هو على وجه التحديد، ما جعل التعليم الجماعي العام أداة تكييف فعالة بالنسبة لزمانه ومكانه ، ويصف لنا توفلر حالة "الشباب المتخرجين من هذه الآلة التعليمية الذين يدخلون إلى مجتمع من البالغين يشبه في بنائه، وأعماله، وأدواره، ومؤسساته، المدرسة ذاتها. إن التلميذ بالمدرسة لم يكن يتعلم مجرد مجموعة من الحقائق التي يستخدمها فيما بعد، بل إنه كان يعيش ويتعلم أسلوبا للحياة صنع على منوال أسلوب الحياة الذي يجب عليه أن ينتهجه في المستقبل. [٢٦]

الثورة التعليمية الجديدة:

مع منتصف القرن الماضي انقطعت الموجة الصناعية الثانية وبدأ المجتمع الإنساني يحط رحاله على أعتاب الموجة الثالثة التي تتميز بطابعها المعرفي اللدن المرن وتنطلق على منصات الثورة المعرفية والتكنولوجية التي تؤدي إلى تغيير جوهري في معالم الحياة والوجود الإنساني وهو نوع من التغير الذي يتطلب تغييرا جوهريا ثوريا شاملا. ومع ذلك يلاحظ توفلر أن التعليم لم يبلغ بعد نضجه للتكيف مع الموجة الثالثة الناعمة، فيقول: " إن نظمنا التعليمية لم تتكيف حتى الآن تكيفا كاملا مع عصر التصنيع، في حين أن الحاجة إلى ثورة جديدة –ثورة ما فوق التصنيع – تفرض نفسها عليها [٢٧]

ويوضح توفلر رؤيته حول ضرورة هذه الثورة الجديدة في التعليم حيث يصف العالم الجديد بما يليق به، حيث يقول: في النظم التكنولوجية للغد، سوف تتعامل الماكينات السريعة، المرنة

الذاتية، التنظيم مع الأشياء المادية، أما الرجال فسيعالجون الأفكار والبصائر. وسيتزايد باستمرار أداء الماكينات للمهام الروتينية، والرجال للمهام الفكرية والخلاقة، وبدلا من أن يتكدس الرجال والماكينات معا في مصانع عملاقة ومدن صناعية، سيتفرقون على سطح الكرة الأرضية، وتربط بينهم وسائل اتصال حساسة وفورية لدرجة مذهلة ن وسيتحرك العمل البشري من المصانع والمكاتب الحاشدة في المجتمع المحلي والبيت[٢٨]

ومن المؤكد هذا المجتمع الجديد سيحتاج إلى تربية جديدة متجددة وفاعلة أيضا. ويصف هذه التربية بقوله " :**إن تكنولوجيا الغد لا تتطلب ملايين الرجال السطحيّي التعليم المستعدين للعمل المتساوق في أعمال لا نهائية التكرار**، ولا تتطلب رجالا يتلقون الأوامر دون طرفة عين، مقدرين أن ثمن الخبز هو الخضوع الآلي للسلطة، **ولكن تتطلب رجالا قادرين على إصدار أحكام حاسمة، رجالا يستطيعون أن يشقوا طريقهم وسط البيئات الجديدة، ويستطيعون أن يحددوا موقع العلاقات الجديدة في الواقع السريع التغير. إنها تتطلب رجالا من ذلك النوع الذي وصفه س.ب. سنو بأنهم "يحملون المستقبل في عظامهم**

ضمن هذا التصور المستقبلي للتربية في زمن الموجة الثالثة يؤكد توفلر على هدفية التعليم ويرى بأن " أن الهدف الأول للتعليم ينبغي أن يكون في رفع قدرة الفرد على التكيف وهذا يتضمن تحقيق عنصري السرعة والاقتصاد في القوة"، وهما العنصران الأساسيان في رفع قدرة الفرد على التكيف مع التغيير المستمر، وكلما ارتفع معدل التغيير في المجتمع، وجب على النظام التعليمي أن يرفع قدرة الفرد على التكيف من جديد ليحقق أعلى درجة من التوازن بين التربية والتغير الاجتماعي.[٢٩]

رؤى تربوية في المجتمع ما بعد الصناعي:

يستخدم توفلر مفهوم " المجتمع ما بعد التصنيع" ويعني به تحديدا مجتمع "الموجة الثالثة" الذي يعتمد المعرفة والثورة الرقمية والمعلوماتية وهي القوى الناعمة التي تحرك التطور الاجتماعي. فالاقتصاد في هذا المجتمع لن يعتمد على الفيزياء الصلبة للتطور مثل المال والقوة العسكرية والإنتاج الضخم بل سيعتمد الذكاء الصناعي والروبوتات والواقع الافتراضي. وهنا يحاول توفلر أن يقدم لنا تصورا عن التربية في هذا العصر (ونحن نعيشه بعضا من تطوراته اليوم) وهي التربية التي يجب أن تكيف الأفراد للعيش في أحضان "الموجة الثالثة". يقول توفلر: "من اجل إيجاد تعليم ما فوق التصنيع، سوف نحتاج إلى خلق صور متتابعة وتبادلية للمستقبل، أي افتراضات حول أنواع الأعمال، والمهن، والحرف التي قد تحتاج إليها خلال العشرين إلى الخمسين عاما القادمة، وافتراضات عن أشكال الأسر والعلاقات الإنسانية التي ستبرز، وأنواع

المشكلات الأخلاقية والمعنوية التي ستثور، وأنواع التكنولوجيا التي ستحيط بنا، والبنى التنظيمية التي سينبغي لنا أن نبنيه . ثم يتابع القول: وبوضع مثل هذه الفروض، وتحديدها، ومناقشتها، ومنهجتها، وتطويرها باستمرار، سيمكننا أن نستنتج طبيعة المهارات الإدراكية والفعالة التي سيحتاج إليها أهل المستقبل لاجتياز أزمة التغيير المتسارع بسلام.

ويقترح توفلر مناشط حيوية لتقديم تصورات مبتكرة عن وضعية التربية وكيفية الخروج من مأزقها الحضاري. فيرى أنه " يجب أن يوجد " مجلس للمستقبل" في كل مدرسة ومجتمع محلي: فرق من الرجال والنساء مكرسة لسير المستقبل في اهتمامات الحاضر، ومن خلال اختطاط " أشكال مفترضة للمستقبل" وتحديد استجابات تعليمية متماسكة لهذه الأشكال وطرحها للمناقشة العامة النشيطة، وتستطيع هذه المجالس– الشبيهة من بعض الوجوه ب"الخلايا التنبؤية" التي اقتراحها روبرت يونك من المدرسة العليا للتكنولوجيا ببرلين–أن يكون لها تأثير قوي في التعليم ."ويعول توفلر كثيرا على أهمية مجالس المستقبل فيقول: "إن حركة مجالس المستقبل تقدم مخرجا من الجمود الذي تعاني منه مدارسنا وكلياتنا "فالمستقبل حاضن التغيرات الثورية ويجب على التربية أن تنهض لتجاري ما فيه من إنجازات وتوقعات حضارية. ومن غير ذلك فإن المجتمع مهدد بحالة من السقوط الاغترابي في لجة اندفاعات حضارية للتغير لا يمكن التنبؤ بدقة بمآلاتها وأبعادها الاجتماعية. (٣٠)

الخاتمة :

يتمثل هاجس توفلر الوجودي في مواجهة المستقبل بطفراته وتسارع إيقاعاته الاغترابية ويرى بأن العمل على تشييد أنظمة تربوية وتعليمية خلاقة هو السبيل الأمثل لمواجهة التحديات المصيرية للإنسانية. ومن هذا المنطلق تتكاثف تصورات توفلر التربوية وتتضافر مكوناتها الإبداعية لتشكيل نظرية تربوية من أجل المستقبل وتفادي صدماته واحتواء مفاجآته، يقول توفلر في هذا السياق: " من أجل تفادي صدمة المستقبل يجب أن نعمل على بناء نظام تعليم يناسب عصر ما فوق التصنيع وحتى نفعل يجب أن نبحث عن وسائلنا وغاياتنا في المستقبل بدى من أن نبحث عنها في الماضي.

من يتابع النشاط الفكري لدى توفلر سيرى بوضوح أن توفلر قد ارتقى إلى مرتبة كبار المنظرين في التربية كما هو حال في علم الاجتماع والمستقبليات. فأعماله الفكرية كما أشرنا إليها تنطوي على أرقى ما يمكن للتربية أن تصل إليه من عمق وأصالة وعبقرية. واستطاع توفلر بعبقريته المعهودة أن يباشر مختلف القضايا التربوية بالدراسة والتحليل. ونعتقد أن توفلر لم يكن

منظرا تربويا عاديا إذ نجد لديه رؤية تربوية فريدة تتمثل في قدرته على استنباط تحليلات رشيقة للتربية في مسار تطورها الذاتي وفي معترك تطورها ضمن تطور الحياة الاجتماعية ضمن وتائر التطور الهائلة التي تحدث في المجتمع والمتوقع حدوثها. ولم نعهد مثل هذه المنهجية في تاريخ الفكر التربوي.

لم يُرد توفلر أن يكون مربيا أو منظرا ولكنه ارتقى إلى هذه المكانة ضمن نسق العبقرية السوسيولوجية التي تميز بها. فعندما أراد توفلر أن يدرس المجتمع في أعتى مراحل تطوره وتغيره ترتب عليه أن يأخذ النسق التربوي كنشق جوهري في عملية التغاير واستطاع أن يحقق هذا التناغم المذهل بين التربية والتغير واحتمالات التغير واستطاع أن يقدم لنا صورة عيانية مرسومة لتطور التربية ومنظوماتها الفكرية وكأننا أمام عرض سينمائي تتطور فيه الأحداث من المقدمات إلى الحبكات المعقدة.

وقد اختلف توفلر عن غيره من المنظرين والمفكرين التربوية بأنه استطاع أن يستفيد من جميع التجارب والخبرات العالمية من المفكرين والباحثين والمعلمين والدراسية. ولا يخفى على أحد أنه أجرى مئات المقابلات في الجامعات والمدارس والمؤسسات ولم يترك شاردة أو واردة أو يهمل رأيا هنا أو هناك. وهذا يعني أنه في عملية بنائه النظري لم ينطلق من ذاته ولم يدع نبوغا عبقريا يرتحق من ذاته فانطلق من الواقع ليرسم مملكته الفكرية الرائعة.

ومن هذا المنطلق فإن توفر لم يرسم لنا يوتوبيا تربوية خيالية بل شيد مملكة فكرية تربوية على الصخور الصماء والجبال الشاهقة. فأفكاره تأتي توليدا إشكاليا ينطلق من الواقع على صورة سيناريوهات متطورة يحكمها الواقع الذي تنطلق منه وتحددها مآلات التطور الحادثة في المجتمع. وعلى هذا الأساس الفكري استطاع توفلر أن يبني منظومته الفكرية ويقدم أجمل الأفكار والتصورات العملية في ميدان الحياة مبررة بوظيفتها وطاقتها وضرورتها في الحياة الاجتماعية المتغيرة.

لم يقدم توفلر طفرات فكرية تربوية ذاتانية أو تأملية مفرطة كما اعتاد كثير من المنظرين، فأفكاره تحكمها الضرورة القصوى وتعبر عن تطلعات الإنسانية في أن تحافظ على وجودها وكينونتها وتنطلق في رحلة التغير الإنساني بصورة طبيعية لا إشكال فيها. ولذا فإن أفكاره التربوية كانت تتجه إلى تحقيق أمرين أولاهما: المحافظة على الإنسان وتمكينه في الحياة الحرة الكريمة في عالم شديد التغير. وثانيهما: العمل على توظيف التربية توظيفا إنسانيا أي: تحويل التربية إلى طاقة تمنع الإنسان من الوقوع فريسة الاغتراب الصناعي والاستلاب التكنولوجي في عالم يشله التغير ويّضله التبدل.

وفوق ذلك كله كان توفلر مربيا ونقصد بذلك أنه كان يحمل رسالة تربوية ينادي بها ويلح عليها. وليس عسيرا على من يتأمل في أعمله أن نجد هذا الطابع الإنساني الذي تميز بها وكأنه في كل أعماله كاث يتعاطف جذريا مع بؤساء الأرض وفقرائها ومع الطبيات الاجتماعية المهيضة. إذ يحدثنا في كثير من أعماله عن رحلة الاغتراب الإنساني ويرسم لننا مأساوية ما يمكن أن تصل إليه الأخلاق الإنسانية فكان همه الأساسي الدفاع عن الضعفاء والمهمشين في المجتمع. وفيما يتعلق بأفكاره التربوية كان توفلر يطرح كثيرا من هذه الأفكار طرح المربي الكبير الذي يؤمن برسالته الإنسانية والتربوية. فكثير من أفكاره وأقواله جاءت بصيغة يحض فيها على العمل وينصح ويؤكد ويستخدم عبارات الوجوب داعيا إلى تحقيق الأفكار المهمة والضرورية بالنسبة للإنسان والإنسانية. وبعبارة أخرى كان توفلر إنسانا مربيا ومربيا إنسانا حمل هموم الإنسانية على كاهله وناضل من أجل الإنسانية حتى أخر نفحة في وجوده.

الهوامش

(١) آلفين توفلر، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر، إتحاد الكتاب العرب دمشق، ١٩٨٧ ط١ ص ٢٥٢.

(٢) آلفين توفلر، المرجع نفسه ص ٢٥٤.

(٣) لفين توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ترجمة فتحي بن شتوان ونبيل عثمان، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا ط١ ١٩٩٢ ص ١٥

(٤) الفين توفلر، خرائط المستقبل ص ٢٥٨.

5) (Avner Giladi, « Saghir », Encyclopedia of Islam, Vol. VIII, Leiden, Brill, 2006.

(٦) ومن أهمها: ابن الجزار، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، بيت الحكمة، ٢٠٠٨. ص٣٠.

(٧) ومن أهمها: مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد هلالي،بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١. ص٣٤.

(٨) نحيل هنا خاصة إلى مقدمة ابن خلدون، الباب السادس، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٠. ص٤٠.

(٩) محمد محجوب، «الطفولة مدخل الإنسانية فينا: قراءات في بعض السرديات الفلسفية»، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://bit.ly/3chdjYk

10) (Carol Bargeron, «The Continuing Vitality of the Tradition: A Classical Muslim Paradigm of Children and Family», Intus Legere Historia, Vol.9, N°2, 2015 (pp.5-22), p. 8.

11) (Marcèle Grandière, «Quelques observations sur l'enfant au XVIIIe siècle», *Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest*, 87-1/1980, (pp. 51-63), p. 51.

12) (John Locke, *Some Thoughts Concerning Education*, London, A.and J. Churchill at the Black Swan in Paternoster-row. 1693.

(١٣) ايمانويل كانط، **تـأملات فـي التربيـة**، ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي الحامي، صفاقس، ٢٠٠٥، ص. ١٧.

(١٤) جون جاك روسو، إيميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد ، ص. ١٨.

(١٥) جون جاك روسو، إيميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد ، ص. ٢٤.

(١٦) ايمانويل كانط، تأملات في التربية ، ص. ١٢.

(١٧) فريدريش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة علي مصباح، بغداد، منشورات الجمل، ٢٠٠٧، ص. ٦٣-٦٤.

([18]) – Alvin Toffler , The Culture Consumers , New York , St. Martin's Press , 1964.

([١٩]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ترجمة محمد علي ناصيف، القاهرة : نهضة مصر، ١٩٩٠، ص٢٠.

([٢٠]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد ، ص ٢١.

([٢١]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ص٢١.

([٢٢]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد ، ص٤٢٠.

([٢٣]) المصدر نفسه ، ص٤٢٢.

([٢٤]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد ، ص٢٤٠-٢٤١.

([٢٥]) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥.

([٢٦]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ص٢٤٧.

([٢٧]) المصدر نفسه ، ص٤٢٢.

([٢٨]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ص٤٢٣.

([٢٩]) المصدر نفسه ، ص٤٣٢ ، ٤٢٤.

([٣٠]) ألفين توفلر، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد ، ٤٢٦-٤٢٧.

المصادر والمراجع :

١.آلفين توفلر، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر، إتحاد الكتاب العرب دمشق، ١٩٨٧ ط١ .

٢.لفين توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ترجمة فتحي بن شتوان ونبيل عثمان، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا ط١ ١٩٩٢.

٣.ايمانويل كانط، **تأملات في التربية**، ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي الحامي، صفاقس، ٢٠٠٥.

٤.فريدريش نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة علي مصباح، بغداد، منشورات الجمل، ٢٠٠٧.

٥.محمد محجوب، «الطفولة مدخل الإنسانية فينا: قراءات في بعض السرديات الفلسفية»، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://bit.ly/3chdjYk

٦.نحيل هنا خاصة إلى مقدمة ابن خلدون، الباب السادس، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٠.

٧.ومن أهمها: ابن الجزار، **سياسة الصبيان وتدبيرهم**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، بيت الحكمة، ٢٠٠٨.

٨.ومن أهمها: مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد هلالي،بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١.

Sources and references:

1. Alvin Toffler, Maps of the Future, translated by Asaad Saqr, Arab Writers Union, Damascus, 1987, 1st ed.

2. Levin Toffler, The Transformation of Power between Violence, Wealth and Knowledge, translated by Fathi Bin Shatwan and Nabil Othman, Dar Al-Jamahiriya for Publishing, Libya, 1st edition 1992.

3. Immanuel Kant, Reflections on Education, translated by Mahmoud Bin Jamaa, Dar Muhammad Ali Al-Hami, Sfax, 2005.

4. Friedrich Nietzsche, Thus Spoke Zarathustra, translated by Ali Misbah, Baghdad, Al-Jamal Publications, 2007.

5. Muhammad Mahjoub, "Childhood is the Entrance to Humanity in Us: Readings in Some Philosophical Narratives," Believers Without Borders for Studies and Research, https://bit.ly/3chdjYk

6. We refer here in particular to the Introduction of Ibn Khaldun, Chapter Six, Beirut, Dar Sadir, 2000.

7. Among the most important of them: Ibn Al-Jazzar, The Politics of Boys and Their Management, edited by Muhammad Al-Habib Al-Hayla, Tunis, Bayt Al-Hikma, 2008.

8 .Among the most important of them: Miskawayh, The Refinement of Morals, Investigation by Imad Hilali, Beirut, Al-Jamal Publications, 2011.

المصادر الاجنبية

9.Laititia Monteils-Laeng, «La valeur de l'enfance chez Aristote», Archives de philosophie, 80/2017, (pp. 659-676), p. 662.

10.Avner Giladi, « Saghir », Encyclopedia of Islam, Vol. VIII, Leiden, Brill, 2006.

11.Carol Bargeron, «The Continuing Vitality of the Tradition: A Classical Muslim Paradigm of Children and Family», Intus Legere Historia, Vol.9, N°2, 2015 (pp.5-22), p. 8.

12.Marcèle Grandière, «Quelques observations sur l'enfant au XVIIIe siècle», *Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest*, 87-1/1980, (pp. 51-63), p. 51.

13.John Locke, *Some Thoughts Concerning Education*, London, A.and J. Churchill at the Black Swan in Paternoster-row. 1693.